مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 4 (رت 73) السنة: 2023

أدب الطفولة الحدود والمفاهيم

Childhood literature borders and concepts

أحمد العايب[1]
جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر
laib2050@gmail.com
عائشة رماش
جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر
remacheaicha@Yahoo.fr

تاريخ الوصول 2022/07/20 القبول 2023/05/03 النشر على الخط 2023/06/05
Received 20/07/2022 Accepted 03/05/2023 Published online 05/06/2023

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن هوية الخطاب الأدبي الموجه للطفل، بوصفه بنية فنية مميّزة ذات أنماط شديدة التباين، مما يفرض انفتاح هذا النمط من الكتابة على العديد من المفاهيم والتصورات القائمة على مبدأ التعالق والتشابك مع ثقافة الطفل ووسائط أدب الطفل، وأدب الكبار، مما يضفي على هذا الجنس الأدبي نوعا من الغموض والالتباس.

وحاصل ما يبدو لنا أن أدب الطفولة يتخذ أشكالا متعددة تقدم قاسما مشتركا مع ثقافة الطفل ووسائط أدب الطفل، ومهما يكن فإن أدب الطفولة بمختلف أشكاله وألوانه ليس سوى مجرد تقليد خافت لأدب الكبار لاسيما على مستوى البنية الشكلية.

الكلمات المفتاحية: أدب الطفل، ثقافة الطفل، وسائط أدب الطفل، أدب الكبار، المفاهيم والتصورات.

Abstract:

This study seeks to reveal the literary discourse's identity directed to the child, as a distinctive artistic structure with very different patterns, which imposes the openness of this writing's style to many concepts and perceptions based on the principle of interdependence and intertwining with the child's culture and the media of children's literature, and adult literature, which gives this literary genre kind of ambiguous and confusion what seems to us is that childhood literature takes multiple forms that present a common denominator with the child's culture and the media of children's literature. Whatever it is, childhood literature in its various forms and colors is nothing but a faint imitation of adult literature, especially at the level of formal structure.

Keywords: children's literature, children's culture, children's literature media, adult literature, concepts and perceptions.

[1]– المؤلّف المراسل: أحمد العايب البريد الإلكتروني: laib2050@gmail.com

1. مقدمة:

ظهر أدب الطفل في الوطن العربي في مرحلة زمنية متأخرة مقارنة مع المنجز الغربي، حيث كانت البداية بسيطة ومحتشمة، لكن لم نلبث طويلا حتى اتقد حماس الكتاب في مطلع القرن العشرين، وبدأ أدب الطفل يأخذ طريقه نحو النضج والاكتمال، حتى ذاع صيته وبلغ الآفاق، بيد أن هذا النمط من الكتابة لا يزال يكتنفه الغموض وتعتريه الشكوك، ففي واقع الأمر ظل أدب الطفولة عبر مراحل زمنية عديدة يعيش على الحدود الملتبسة بين زخم من المفاهيم والتصورات، فلا نكاد نرى سوى ضروب من التماثل والتطابق مع بعض المفاهيم الملتصقة به، وفي هذا المنعطف نصادف إشكالية معرفية هامة مفادها: ما هي أهم المرجعيات الفكرية والأطر المعرفية التي يرتكز عليها الدارسون في تحديد ماهية أدب الطفولة؟ وكيف يمكن الوقوف على الفروق الفنية بين أدب الطفل وأشكال التعبير الأخرى؟ وما هي مميزات أدب الطفولة؟
ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية اقترحت الدراسة جملة من الفرضيات نوردها على النحو الآتي:

1.1. الفرضية العامة:

- توجد فروق بين أدب الطفل وثقافة الطفل.

الفرضية الصفرية:

- لا توجد فروق بين أدب الطفل وثقافة الطفل.

الفرضية البديلة:

- توجد فروق بين أدب الصغار وأدب الكبار.

الفرضية الاحتمالية:

يمكن أن تكون مؤثرات التعالق بين أدب الطفل وثقافة الطفل ووسائط أدب الطفل، وأدب الكبار سبب اللبس الذي يعتري أدب الطفولة.
وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن هوية الخطاب الأدبي الموجه للطفل، بوصفه بنية فنية معقدة ذات أنماط شديدة التباين، فمن المعلوم أن أدب الطفولة يتخذ أشكالا وقوالب فنية متعددة تقدم قاسما مشتركا مع ثقافة الطفل ووسائط أدب الطفل، فضلا عن مؤثرات التعالق ووشائج القربى بين أدب الصغار وأدب الكبار، لاسيما على مستوى البنية الشكلية.
وقد اعتمدت هذه الدراسة في تحديدها لماهية أدب الطفولة والكشف عن خصوصياته وطرائق تشكله على المنهج الوصفي الذي يعنى بتفسير الظواهر الأدبية وشرح المعارف وتوضيح المفاهيم والتصورات التي تتصف بالغموض وإزالة اللبس الذي يعتريها.

2. أدب الطفل

أضحى أدب الطفولة من أكثر أنماط التعبير الأدبي شيوعا وإثارة للجدل في العصر الحديث، من طرف المشتغلين في حقل الدراسات الأدبية، التي تهتم بهذا النمط التعبيري والكيفية التي يتشكل بها، والمسالك التي ينفذ من خلالها إلى المتلقي الصغير، أضف إلى ذلك تطلعات المتخصصين ضمن هذا المجال ورغبتهم الشديدة في صياغة نمط جديد من الكتابة، والبحث عن الأسلوب الأمثل في التعامل مع الطفل، لمعرفتهم أن النص الأدبي لا يكتسب أي قيمة دلالية من غير تفاعل القارئ معه، ومهما يكن من أمر فإن "أدب الطفل أو أدب الطفولة تعبير حديث ظهر أواخر العشرينات لأول مرة في الأدب العربي فوق صفحات الصحف بأقلام زكي مبارك وساطح الحصري ووداد صادق عنبر الماحي وأحمد شوقي"[1]، كما تكشف القراءة الحثيثة لمختلف الدراسات والبحوث أن "أدب الأطفال من الفنون الحديثة في الأدب

[1]-أحمد زلط، أدب الطفل العربي دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 2، 1997 ،ص118.

العالمي، فهذه الفئة تتميز بمستوى عقلي معين وبإمكانات وقدرات نفسية وجدانية تختلف عنا نحن الكبار فتجارب الطفولة وميزاتها محددة وآفاقها التخيلية واسعة، لا تحدها حدود، ولا تحاصرها ضوابط كضوابطنا نحن الكبار"[1]، وعلى هذا الأساس يترتب على "أديب الأطفال أن يتعرف إلى جمهوره الأطفال، أن يحيط بهذا العالم الغريب – رغم أن الإحاطة التامة تظل أمرا عسيرا – لأن ما يكتبه، شكلا ومضمونا يخضع لطبيعة هذا الجمهور وخصائصه، ولا يكفي أن يتعرف الأديب إلى عدد من الأطفال، سواء كانوا أبناءه أم أبناء جيرانه، أم تلامذته، بل ينبغي أن يدرس جمهور الأطفال دراسة علمية معتمدا على ما توصل إليه رجال التربية وعلماء النفس في هذا المجال"[2].وبصفة عامة فإن كاتب الأطفال ملزم بالبحث الدؤوب والتقصي المستمر عن أنماط تعبيرية جديدة أكثر فعالية، بحيث تمنحه فرصة ترسيخ المعارف، وضمان بقائها في عقول الناشئة، ولن يتأتى له ذلك ، حتى يعرف مميزات الطفل عبر مراحل نموه المختلفة، ومن ثمة ينتقي لكل مرحلة لغة تناسبها" فلا يكفي كاتب الطفل ومبدع أدبه أن يعرف مراحل النمو وخصائص مراحل الطفولة فحسب، بل عليه أن يكون على اطلاع ومعرفة كافيتين بما يناسب كل مرحلة ونقصد هنا الأساليب المناسبة التي يمكن استخدامها وتؤدي الغرض في كل مرحلة"[3] وبعبارة أخرى فإن" الأطفال لا يشكلون جمهورا متجانسا في ميوله وعواطفه ورغباته، إذ هم يتفاوتون في ذلك تفاوتا كبيرا حسب مراحل النمو الجسمي والعقلي والنفسي واللغوي والاجتماعي، وتغلب على كل مرحلة من مراحل النمو خصائص معينة، وهذه الخصائص تحدد كثيرا من المؤشرات لأدب الأطفال، حيث يضعها أديب الأطفال في اعتباره عند التفكير فيما يقدمه للأطفال من ألوان أدبية، إذ لابد أن يتفق ما يقدم للأطفال من ألوان أدبية – شكلا ومضمونا وأسلوبا– في كل مرحلة، مع خصائص الأطفال فيها في كل مجال من مجالات النمو"[4]، وفضلا عن ذلك فإن الأديب ملزم بالمعرفة المسبقة لجميع مراحل نمو الطفل كما حددها المتخصصون ضمن هذا المجال" فلا يمكن للكاتب وضع قصة أو شعر مناسب للأطفال ما لم يكن على وعي كامل بأصول التربية وعلم النفس وقاموس الأطفال... وعلى هذا يجب أن نحيط علما بطبائع الأطفال الذين نكتب لهم وأن تكون على وعي كامل بمراحل نموهم والخصائص التي تميز كل مرحلة بالإضافة إلى درجة نموهم العلمي واللغوي وغير ذلك من المعلومات المختلفة"[5]، ومن هذه المنطلقات وغيرها ينبغي على أديب الطفولة لاسيما في ميدان كتابة القصة أن يتصف بكثرة المطالعة وسعة المعرفة، بالإضافة إلى قدرته على الإبداع والابتكار "فعلى كاتب قصة الأطفال أن يكون موهوبا قادرا على تقمص سن الطفل ووعيه، وأن يطلع على الأدب العالمي في هذا المجال، ويعرف نفسية الطفل، وقاموسه اللغوي، ولا يجافي التراث، وأن يطبق السمات الفنية، وألا يكتب من وجهة نظره، بل من وجهة نظر الطفل وميوله وخصائصه ومطالبه سواء أكان ذلك في مضمون القصة أم في شكلها وبنائها، وحجمها، ونوعها ورسومها، وغلافها، وعنوانها وإخراجها، وطباعتها، ومراعاة التقابل مع المحسوس المرئي الملموس"[6] وقبل أن نمضي في تفصيل الحديث عن ماهية أدب الطفولة يحسن بنا الوقوف عند مفهوم الطفولة أولا، حتى نتعرف أكثر على طبيعة الطفل ومراحل نموه المختلفة، وبذلك يتسنى لنا معرفة مختلف الأنماط التعبيرية والمعايير الفنية المناسبة لكل مرحلة من مراحل نموه" فالطفل كلمة تدل على كائن له صفات خاصة، ويتميز بخصوصيات في الزمان والمكان بما يجعله عالة على غيره، ومحل عناية الغير دائما... وهذه الخصوصيات تقوم على

---

[1] –موفق رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط،2012، ص 17.

[2] – هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1986،ص70.

[3] – بشير خلف ، الكتابة للطفل بين العلم والفن/ دراسة، وزارة الثقافة، الجزائر، دط 2007، ص 171.

[4] – هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، ص 15.

[5] – زهراء الحسيني، الطفل والأدب العربي الحديث، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، 1200، ص29.

[6] يوسف نوفل، القصة وثقافة الطفل، دار العالم العربي، القاهرة، ط 1، 2014، ص19.

الإمكانات المحدودة التي عليها الطفل، ومن ثم تحديد ما ينبغي أن يقدم للطفل من لغة وفكر وأساليب"[1] وبصفة عامة فإن "الأطفال هم القطاع الممتد من عمر الإنسان منذ الميلاد، حتى سن الاعتماد الكامل على الذات"[2] وقد لا نبالغ إذا قلنا أن" الطفولة عند الإنسان هي المرحلة الأولى من مراحل عمره، حيث تبدأ من ميلاده وتنتهي ببلوغه سن الرشد"[3] ونعزز هذا التصور لمعنى الطفولة بما ورد في قوله تعالى" ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم"[4].

توالت الدراسات والبحوث من طرف المتخصصين ضمن مجال الطفولة، حيث بلغت العناية بالطفل حدها الأقصى، فلا أحد يستطيع أن ينكر المكانة المرموقة التي يتبوأها الطفل خصوصا في" القرن العشرين الذي اعتبرته الباحثة السويدية (آلن كي) عصر الطفل، راحت الدراسات تكتشف وجود عالم طفولي، لا يشكل فحسب عالما وهميا موازيا للعالم الموضوعي الذي بناه الراشد، بل عالما مبنيا(من البنية) وفق منطق آخر"[5] وقد شهد موضوع الطفولة منذ إطلالة القرن العشرين تحولات لامثيل لها، بيد أن عالم الطفل لا يزال يكتنفه الغموض، ومرد ذلك يعود إلى أن" أغلب المعاجم المتخصصة تتحاشى تقديم تعريف للطفل ، والتي تحاول منها تجريب المغامرة، تنحرف إلى تحديد الطفولة كوظائف ومراحل وعمليات نمو، وأمام وفرة التحديات نكون حيال مفهوم ملتبس ومتغير تبعا للوظائف التي تلفظها السياقات والنظريات والعوامل الاجتماعية، ومن ثم فإننا لانعرف بعد متى يبدأ عمر الطفولة ومتى ينتهي"[6].

3. في ماهية أدب الطفل :

وإذا ما شئنا الوقوف على ماهية أدب الطفولة لابد لنا من الإجابة على الأسئلة التالية :

- فما هو أدب الطفل؟
- وكيف نفرق بين ثقافة الطفل وأدب الطفل ووسائطه ؟
- ماهي أوجه الاختلاف والائتلاف بين أدب الأطفال وأدب الكبار؟

وقد يكون من المفيد في بداية الأمر أن نميز بين مفهومي أدب الطفل وثقافة الطفل، بغية إزالة اللبس الحاصل بين هذين المفهومين، حيث " يتخذ أدب الأطفال أشكالا عديدة ويكتب في مجالات واسعة مختلفة، وإذا كانت ثقافة الأطفال تعني الكتب والمجلات والمقالات التي يقرؤونها، والأفلام والمسارح التي يشاهدونها، والأغاني الخاصة بهم، فهذا هو المقصود أيضا بأدب الأطفال "[7] وفي تقديري يعود هذا التداخل والتشابك بين المفهومين إلى طبيعة البيئة الاجتماعية التي بموجبها تتحدد هوية الأفراد وثقافتهم، فالحديث عن طرائق تشكيل ثقافة الفرد شديد التفاوت لاسيما أن الثقافة مفهوم يتصف بالشمولية والإحالة على تعالق العديد من العناصر" فالثقافة هي حصيلة ما يتمتع به العقل من معارف.. ما يمكن الوجدان من انطباعات.. ما يستقر في الضمير من عقائد.. ما يرسب في النفس من عادات وتقاليد... فالثقافة أهم

---

[1] محمد السيد حلاوة ، مدخل إلى أدب الأطفال مدخل نفسي واجتماعي، تقديم السعيد بيومي الورقى، سلسلة الرعاية والثقافية، مؤسسة حورس الدولية، دط،2001، ص59.

[2] إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2000، ص18.

[3] بشير خلف، الكتابة للطفل بين العلم والفن / دراسة، ص14.

[4] سورة الحج، الآية :05.

[5] أحمد فرشوخ، الطفولة والخطاب في القصة المغربية القصيرة، ص 13.

[6] المرجع نفسه، ص41.

[7] موفق رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، ص 18.

من التعليم، وأن التعليم جزء من الثقافة، أما ثقافة الطفل فهي مجموعة العلوم والفنون والآداب والمهارات، والقيم السلوكية والعقائدية التي يستطيع الطفل استيعابها وتمثلها في كل مرحلة من مراحل عمره، ويتمكن بواسطتها من توجيه سلوكه داخل المجتمع توجيها سليما "[1] وعلى كل حال فإننا لا نستطيع أن نتغاضى عن القول بأن" قدرات الأطفال على التفكير تنمو بصورة تدريجية وتزداد مع ازدياد خبراتهم واتصالاتهم، وتطور جوانب نموهم الأخرى بما في ذلك نموهم العقلي واللغوي والاجتماعي والنفسي، أي للبيئة الثقافية أثرها في تطور التفكير لدى الاطفال "[2] وبوجه عام فإن" للثقافة عشرات المفاهيم والتعاريف.. من أشهرها ما أخذت به دائرة المعرف البريطانية عندما رأت أن الثقافة: هي أسلوب الحياة السائد في المجتمع وعلى هذا فإن ثقافة المجتمع تشمل عاداته وأفكاره واتجاهاته وقيمه وأدواته وملابسه وأسلحته ومنجزاته الفنية، وكل ما يتميز به أسلوب الحياة السائد فيه من النواحي المادية والمعنوية، واللغة هي العامل الرئيسي لنقل الثقافة وإن كانت بعض أنماط السلوك والاتجاهات تكتسب بوسائل أخرى "[3]، وبوسعنا القول ضمن هذا النطاق "أن ثقافة الطفل العربي لا تزال مستوردة مترجمة، ففي الوقت الذي تقف فيه الحدود المصطنعة أمام تفتح الطفل العربي نجد العكس من ذلك، أن الثقافة الغازية تلاحق أبناءنا في أعقار بيوتهم بواسطة الدوريات المترجمة التي لا تساعد إلا على تكوين شخصية مزورة في الطفل العربي" [4] ولا شك أن مهمة الدارس في تقديم تقديم مفهوم دقيق لماهية أدب الطفولة بعيدا عن الملابسات الخارجية التي تحيط به، والاهتمام بهذا الجنس الأدبي بمعزل عن ثقافة الطفل أمر في غاية الصعوبة، ففي غالب الأحيان نجد مفاهيم وتصورات تثبت أن أدب الطفل وثقافة الطفل وجهان لعملة واحدة بحيث لا يمكن الفصل بينهما "فأدب الأطفال يعني كل ما يكتب للطفل، وما يكتب عن الطفل في آن واحد وفي مختلف فروع الثقافة الإنسانية، حيث يتخذ أدب الأطفال أشكال عديدة ويكتب في مجالات واسعة مختلفة، وإذا كانت ثقافة الأطفال تعني الكتب التي يقرؤونها والمجلات والأفلام والمسارح التي يشاهدونها والأغاني الخاصة بهم فهذا هو المقصود أيضا بأدب الأطفال"[5] ومن جهة أخرى يمكن اعتبار الوسيط الذي يمرر من خلاله الأديب العمل الأدبي الموجه للطفل أحد الأسباب المؤدية إلى صعوبة تحديد ماهية أدب الطفولة من منطلق أن مسألة الوسيط "من أعقد الاتجاهات السائدة في هذا الميدان، ذلك أن أصحابه يدمجون في المفهوم بين أدب الطفل ووسائطه، على حين نجد الفروق واضحة بين الأدب للطفل، والوسيط الناقل لذلكم الأدب، ولا يمكننا أن نضع النص الأدبي في فنون النثر والشعر المتنوعة في سلة واحدة مع الوسيلة أو الوسيط، إذ النص الأدبي عمل تأليفي إبداعي ينتجه فرد، بينما الوسيط في شتى قنواته: المقروءة والمسموعة والمرئية مثل: مجلة الطفل، برنامج الطفل الإذاعي أو التلفزيوني، أو الكتاب المصور، أو السينما أو مسرح الطفل وغيرها"[6] ومهما يكن من أمر فإن "الوسيط الجيد يصبغ العمل العمل الأدبي بصبغة خاصة تتفق مع طبيعته التي تميزه عن غيره من الوسطاء، وهو في هذا يضفي على العمل الأدبي ألوانا من التشويق تجعله أكثر اقترابا من نفوس الأطفال، وتجعلهم أكثر حرصا عليه وسعيا وراءه، كما تجعل تأثيره في انفسهم أعمق وأبقى"[7] فليس من السهل تقديم

[1] بشير خلف، الكتابة للطفل بين العلم والفن، ص 33.

[2] أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 48.

[3] أحمد نجيب، البعد القومي في ثقافة الطفل العربي، ثقافة الطفل العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إدارة الثقافة، المكتبة الوطنية الجزائرية، تونس، 1992، ص 44.

[4] أحمد المصلح، أدب الأطفال في الأردن دراسة تطبيقية، سلسلة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط2، 1979-1998، ص13.

[5] المرجع نفسه، ص17.

[6] أحمد زلط، أدب الطفل العربي دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، ص113.

[7] أحمد علي كنعان، فرح سليمان المطلق، أدب الأطفال وثقافة الطفل، ص149.

تقديم تصور دقيق لماهية أدب الطفولة بعيدا عن الملابسات الخارجية التي تحيط به، ولعل الاهتمام بهذا الجنس الأدبي في منأى عن ثقافة الطفل، والوسيط الناقل لهذا النمط من الكتابة أمر عسير، نظرا لوشائج القربى بين هذه المفاهيم، ولكي يتبدد الشك الذي تسرب إلى فكر الدارس لابد من النظر إلى أدب الطفل على أنه" جزء من الأدب بشكل عام ينطبق عليه ما ينطبق على الأدب من التعريفات إلا أنه يتخصص في مخاطبة فئة معينة من المجتمع، وهي فئة الأطفال وقد يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار تبعا لاختلاف العقول والإدراكات ولاختلاف الخبرات نوعا وكما"[1].

يحيلنا هذا التحديد على رحابة أدب الطفولة واتساعه ليشمل مختلف الفنون الأدبية الموجهة لجمهور الأطفال، كما يؤشر على المسافة الموجودة بين أدب الكبار وأدب الصغار.

وعلى الرغم من تدفق المفاهيم حول هذا الجنس الأدبي يكاد يجمع الدارسون على أن" لأدب الأطفال معنيين معنى عام، ومعنى خاص، فأما المعنى العام فهو يعني الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة للأطفال في شتى فروع المعرفة، كالمقررات الدراسية والقراءة الحرة، وأما المعنى الخاص لأدب الأطفال، فهو الكلام الجيد الجميل الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة فنية، كما يسهم في إثراء فكرهم، سواء أكان أدبا شفويا بالكلام، أم تحريريا بالكتابة، وقد تحققت فيه مقوماته الخاصة من رعاية لقاموس الطفل"2 ومن هنا تأتي ضرورة فصل أدب الطفولة عن غيره من المفاهيم والأجناس الأدبية الموجهة للكبار، كونه جنس أدبي له خصوصيته فهو" شكل من أشكال التعبير الأدبي، وفن من الفنون الإنسانية الرفيعة، يوجه إلى جمهور الأطفال، يتميز بالاهتمام إلى ميولهم واحتياجاتهم وبإثارة انفعالات عاطفيه واحساسات جمالية فيهم، كما يتميز بملائمته مضمونا وأسلوبا وإخراجا لمراحل نموهم المختلفة"[3] وفي واقع الحال عثرنا على حشد هائل من المفاهيم، يهدف أصحابها إلى تقديم تصور دقيق وناجز لماهية أدب الطفولة، بمعزل عن أدب الكبار وثقافة الطفل، ووسائط أدب الطفل" فأدب الأطفال هو الأدب الموجه للأطفال، سواء من الكبار أو من الأطفال أنفسهم، ويشمل كافة الصور الأدبية من قصة وشعر وحكاية وكتب معلومات وكتب علمية وأخلاقية ومسرحية وموسوعات للطفولة، إلخ من ألوان هذا الأدب"[4] فلا يخفى علينا أن أدب الأطفال" يمثل الإنتاج الأدبي المقدم للأطفال والذي يجسد المفاهيم والأفكار والقيم التي تسهم في تشكيل وجدان الطفل، ويتأثر أدب الأطفال بحركة التأليف والترجمة والنشر التي تخضع بالدرجة الأولى لفلسفة الكبار واتجاهاتهم في تثقيف الأطفال، وبميل الأطفال بصفة عامة إلى القصص والحكايات والطرائف وقصص الحيوان وقصص البطولة والمغامرات وقصص الخيال التاريخي والعلمي والقصص الفكاهية "[5].في حين يحدد هادي نعمان الهيتي مفهوم أدب الطفولة بقوله: "هو مجموعة الإنتاجات المقدمة للأطفال التي تراعي خصائصهم وحاجتهم ومستويات نموهم أي أنه في معناها العام يشتمل كل ما يقدم للأطفال في طفولتهم من مواد تجسيد المعاني والأفكار والمشاعر"[6] ومن نافلة القول نورد ما قاله عيسى

[1] عبد الإله عبد الوهاب العرداوي، هاشمية سعيد حميد جعفر الحمداني، أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014، ص12.

[2] العيد جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته، دار هومة، دط، دت،ص8.

[3] عبد الإله عبد الوهاب العرداوي، هاشمية سعيد جعفر الحمداني، أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، ص13.

[4] : محمد السيد حلاوة، مدخل إلى أدب الأطفال (مدخل نفسي واجتماعي)، تقديم السعيد بيومى الورقى ص59.

[5] : أمينة حمزة الجندي، ثقافة الطفل في الوطن العربي، إستراتيجية للتعاون بين البلاد العربية في ثقافة الطفل، ثقافة الطفل العربي/ المنظمة العربية للتربية والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1992، ص297.

[6] زهراء الحسيني، الطفل والادب العربي الحديث، ص16.

الشماس في تعريفه لأدب الطفولة، فالمقصود بهذا الجنس الأدبي في نظره هو كل "ما يقدم للأطفال من نصوص أدبيه كتبت خصيصا لهم، وفق أسس نفسية وتربوية ولغوية، تتناسب مع مميزات كل مرحلة من مراحل الطفولة وتعالج الموضوعات التي تهم الأطفال والمواقف والمشكلات التي تلبي حاجتهم للمعرفة[1]" وما ينبغي التأكيد عليه هو أن لأدب الطفولة طابعه الخاص الذي يميزه فهو عبارة عن نمط تعبيري يتجسد في " كل خبره لغويه– لها شكل فني– ممتعة وسارة، يمر بها الطفل ويتفاعل معها، فتساعد على حسه الفني، والسمو بنموه الأدبي، ونموه المتكامل، فتسهم بذلك في بناء شخصيته، وتحديد هويته وتعليمه فن الحياة"[2] ومن خلال تفحصنا لماهية أدب الطفولة وجدنا العديد من المفاهيم التي يدور فحواها حول هذا الجنس الأدبي بحيث، لا يسعنا المقام لذكرها جميعا، ففي كل مرة نصادف تصور يسعى صاحبه إلى التموضع داخل النص الأدبي الموجه للطفل والإحاطة به من كل جانب، ولئن كانت هذه المفاهيم تشترك في الدلالة فإنها تختلف في الصياغة، فضلا عن رغبة أصحابها في التميز بين أدب الكبار وأدب الصغار من منطلق أن "أدب الأطفال شكل من أشكال التعبير الأدبي له قواعده ومناهجه، سواء منها ما يتصل بلغته وتوافقها مع قاموس الطفل ومع الحصيلة الأسلوبية للسن والتي يؤلف لها، أو ما يتصل بمضمون ومناسبته لكل مرحله من مراحل الطفولة، أو ما يتصل بقضايا الذوق وطرائق (التكنيك) في وضع القصة، أو في فن الحكاية للقصة المسموعة"[3] وبهذا الخصوص يقول محمد مرتاض:" لا فرق بين قصة للكبار و قصه للصغار إلا في التبسيط والتوضيح والتحليل والابتعاد عن الغموض المفرط أو التعقيد الممجوج، ولابد بالإضافة إلى ذلك أن تشتمل القصة على مغزى أخلاقي يدفع الطفل إلى التفكير والتركيز"[4] واستنادا لهذه المرجعية المفهومية "انقسم الأدب المعاصر– خاصة في القرن العشرين –إلى قسمين كبيرين: أدب الكبار وأدب الصغار، ولكل منهما كتابه ومفكّروه، أما في السابق فكان يعّد أدب الأطفال تصغير لأدب الكبار لأنهم يعدّون الطفل رجلا صغيرا، صحيح أن أدب الأطفال يتميز بالسهولة والبساطة ولكنه يتمتع بخصائص متميزة تلائم طبيعة الأطفال"[5]. إن ما تقدم من تصورات يكشف للعيان أن لأدب لأدب الطفل خصوصيته التي تميزه عن أدب الكبار، خصوصا إذا نظرنا إلى الجانب اللغوي والأسلوبي، بحيث يعمد كاتب الأطفال في غالب الأحيان إلى البعد عن البهرج اللفظي، وفنون القول، وميله إلى اللغة البسيطة، والأساليب التقريرية المباشرة، لأن الاشتغال على اللغة الرمزية منفتحة الدلالة ينأى عن الغاية التي يتوخاها الكاتب، ولهذا فإن" الأسلوب عنصر أساس في أدب الأطفال، لأن أي مضمون أدبي مهما كانت له من الأصالة أو القوه لا يمكن أن يؤثر في الأطفال ما لم يتوتر له الأسلوب الرشيق الممتع، لذا يقال أدب الأطفال يجب أن يقدم بأطباق من ذهب، إن المضمون الجيد يبدو متهرئا إذا قدم إلى الطفل بأسلوب ركيك مضطرب، أو إذا قدم مبهرجا بمحسنات بلاغية وبديعية"[6] وفي غمرة هذه التصورات يتضح لنا العديد من الخصائص والسيمات التي تعتري الخطاب الطفلي، ويجدر بنا في هذا السياق أن نشير إلى أبرزها :

1- "يشكل فعالية للأطفال إبداعية بذاتها.

2- يتطلب موهبة حقيقية، شأن أي إبداع أصيل، فهو جنس جديد في الساحة العربية.

---

[1] عبد الإله عبد الوهاب العرداوي، هاشمية حميد جعفر الحمداني، أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، ص60.

[2] محمد السيد حلاوة، مدخل الى أدل الأطفال (مدخل نفسي واجتماعي)، تقديم السعيد بيومى، ص60.

[3] أحمد زلط، أدب الطفل العربي، دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، ص 120.

[4] العيد جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته، ص50.

[5] زهراء الحسيني، الطفل والأدب العربي الحديث، ص14.

[6] هادي نعمان الهيثمي، أدب الأطفال، فلسفة، فنون، وسائطه، ص97.

3- ينبع من صلب العمل التربوي.

4- يعتمد على اللغة الخاصة بالأطفال، سواء أكانت كلاما أم كتابة أم صورة أم موسيقى أم تمثيل.

5- يشمل جميع الجوانب المتعلقة بالأطفال من الأشياء الملموسة والمحسوسة إلى القيم والمفاهيم المجردة "[1].

وفي ضوء ما سبق تنجلي تفاصيل أدب الطفل وتتحدد معالمه، بيد أن هناك تطابق بين هذا الجنس الأدبي وأدب الكبار خصوصا على المستوى الفني "فليس هناك فروق أساسية في المقومات الأدبية والفنية بين أدب الأطفال وأدب الراشدين، فالمقومات قد تكون واحدة، فإذا قلنا أن مقومات القصة في فكرة وشخصيات وبناء قصصي فإن هذا ينطبق على أدب الصغار، مثلما ينطبق على أدب الراشدين"[2]. ولعل ما يميز أدب الكبار عن أدب الصغار هو ميل كاتب أدب الطفل الواضح إلى استخدام اللغة المباشرة، وأساليب التشويق والتهكم، وسطحية المعنى.

ومما لا ريب فيه أن أدب الطفل قد لقي ترحاب واسع المدى من قبل الدارسين حتى ذاع صيته وبلغ الأفاق، والفضل يعزى بالدرجة الأولى إلى جان جاك روسو الذي ألح على ضرورة إعادة النظر لعالم الطفل وفق رؤية جديدة تواكب مختلف التحولات الحضارية و في خضم تلك التطورات بلغت الإنتاجات الأدبية الموجهة للطفل حدها الأقصى نظرا لدورها الرائد في صنع جيل المستقبل، وفي ضوء هذا الطرح يغدو" الاهتمام بأدب الأطفال والعناية به اهتمام بالأدب بشكل عام، والعناية بطفل اليوم عناية برجل الغد ولأن الثقافة تبدأ بالطفل فإن أدب الأطفال يجيء في مقدمة المجالات الثقافية التي تتحقق هذه الغاية، فأدب الأطفال يمكنه أن يقدم هذا الكم الهائل من المعلومات العلمية والفنية والتربوية"[3]. فضلا عن هذا فإن "أدب الأطفال ضرورة وطنية وقومية، وشرط لازم من شروط التنمية الثقافية المنشودة في عقدها الدولي، بل إن أي تنمية ثقافية تتجاهل أدب الأطفال وتهمله ناقصة وتفتقر لجذورها لأسباب تتعلق بطبيعة التكوين المعرفي والتربوي للإنسان، وغني عن القول إن أدب الأطفال سبيل لا غنى عنه لتسريع عملية التنمية الثقافية والاجتماعية مما يتطلب المزيد من الجهد لتأصيل أدب الأطفال وتدعيمه في التربية والمجتمع في مختلف المؤسسات"[4] فمن المعلوم أن لأدب الطفل أهداف عديدة تشمل الجانب العقائدي التعليمي والتربوي والترفيهي، و لعل أبرز هذه الأهداف تتجسد في النقاط التالية:

1- "التعليم هدف أول من أهداف أدب الأطفال.

2- تنمية الجانب المعرفي عند الأطفال وإمدادهم بثروة لغوية هائلة.

3- تنمية التفكير والذاكرة عند الأطفال والقدرة على ربط السبب بالنتيجة.

4- تنميه الأحاسيس والمشاعر والمهارات والتذوق الفني عند الأطفال.

5- تخليص الأطفال من العنف والعدوان وتعليمهم أشياء تساعد على فهم الحياة والتكيف معها وتهذيب أخلاقهم وتعليمهم التميز بين الجيد والرديء"[5].

---

[1] عبد الإله عبد الوهاب العرداوي، هاشمية حميد جعفر الحمداني، أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، ص24.

[2] أحمد المصطلح، أدب الأطفال في الأردن، ص19.

[3] العيد جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته، ص11.

[4] أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص65-66.

[5] انظر: عبد الإله عبد الوهاب العرداوي، هاشمية حميد جعفر الحمداني، أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، ص22.

وليس ثمة تشك في أن أدب الطفل مقوم أساسي تنبني عليه هوية الناشئة نظرا لدوره الفعال في ترسيخ القيم الأخلاقية وتنشيط مختلف القدرات العقلية فهو وسيلة فعالة في صقل المواهب المعرفية، بأسلوب مشوق يجمع بين المنفعة والمتعة في منأى عن الاستغلاق وتعمية الدلالة، بحيث يمكن للمتلقي الصغير أن يهتدي الى المعنى من دون عناء ومشقة.

وعلى الرغم من أهمية أدب الأطفال إلا أنه "لم يكن مألوفا في المجتمع حتى القرن السابع عشر وقبل هذا القرن لم يتجرأ أديب على النزول من مستواه العلمي وعن برجه العالي إلى أدب الأطفال الذي ينظر إليه المجتمع نظرة الاحتقار خوفا من أن ينظر إليه على الحيز الأخير غير حيز الكبير الذي أحاطه بقصائد في المدح والوصف والرثاء"[1] والواقع فإن الفضل في ظهور هذا النوع يعود إلى الفرنسيين فقد "كانوا أول من كتبوا للأطفال في القرن السابع عشر ثم تلاهم الإنجليز في هذا الميدان حيث دخلت امتولات لافونتين (1621-1695) أدب الأطفال فصدرت (320)خرافة على اثني عشر كتابا، وقصص فيدروس الهجائية الساخرة والمريرة، وأشعار سير والترسكوت (1771- 1832) الشعبية وقصص المغامرات لكبلنج (1865- 1936). وكان من أوائل الذين كتبوا خصيصا للأطفال الشاعر الفرنسي تشارلز بيرو(1627- 1703) وكانت أولى حكايات(أمي الإوزة) حيث وضع اسم ابنه كمؤلف لها مخافة أن تؤثر في الإقلال من شأنه الأدبي. وبعد ذلك أصدرت مجموعة قصصية أخرى للأطفال هي قصص وخرافات من الأزمنة القديمة (1697) وثبت اسمه عليها لأنه تنبه الناس إلى أهميه أدب الأطفال إلى حد ما. ومنها قصة سندريلا، والقط ذو الحذاء الطويل، وذو اللحية الزرقاء، والجمال الناعس، وكان لإصدار ترجمه ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأوروبية بعد عام (1718) الأثر الكبير في ذيوع القصص والحكايات والخرافات المستمدة منها"[2] وبصفة عامة فإن "الكتابة للأطفال بعد بيرو لم تصبح جدية إلا في القرن الثامن عشر عندما ظهر جان جاك روسو (1712- 1778) الذي اهتم بدراسة الطفل كإنسان قائم بذاته، وله شخصيته المستقلة، ونادى بان هدف التربية هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش، وأن تترك للطفل فرصة تنمية مواهبه الطبيعية، وأن تقدم له المعلومات التي يحتاج إليها، فكانت آراؤه ذات وقع شديد استجاب لها كثير من الكتاب والمربين"[3] وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الكثير من المبدعين ضمن هذا النطاق فإن "الأطفال ظلوا يتامى الأدب حتى وقع وقت قصير فقد سعى الأقدمون إلى فرض طرائق تفكيرهم على أطفالهم دون الالتفات إلى عواطفهم وميولهم وتوازنهم، ومن الملاحظ أن الاتجاهات الخاطئة ظلت سائدة ألاف السنين، حتى وجدنا في أواخر القرن الثامن عشر ووائل القرن التاسع عشر فلسفة متكاملة في التربية"[4] حيث تقوم هذه الفلسفة على عدة أسس نعرضها على النحو الآتي:

- "الإذعان لما قدر لنا في هذه الحياة.
- الشر في الطفل طبع لا يستأصله إلا مراقبه الوالدين، وأولي الأمر ولا سبيل إلى إصلاحه إلا بصولة العصا وإرهاب السوط.
- لكل فرد في المجتمع حدود ليس له الحق في تعديها، وهو يواجه العقاب إذا لم يتقيد بها سواء كان طفلا أم راشدا "[5].

[1] زهراء الحسيني، الطفل والأدب العربي الحديث،ص20.

[2] أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص70-71.

[3] موفق رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، ص20

[4] أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص69.

[5] أحمد علي كنعان، فرح سليمان المطلق، اللغة العربية ، أدب الأطفال وثقافة الطفل، ص26.

وبناء على ما تقدم يمكن القول أن "أدب الأطفال جديد على الآداب العالمية كلها، حيث لم يعن به أحد وفق الصيغ الحاضرة إلا بعد ظهور علم نفس الطفل والنظريات التربوية الحديثة، وفي الوطن العربي لم يتبلور بعد رغم تزايد الاهتمام بأدب الأطفال في أكثر بقاع الدنيا، وذلك يعود إلى:

1- طغيان النظريات التربوية والتقليدية التي ترى في الطفل رجلا صغيرا.

2- بالإضافة إلى أن المجتمع كان مجتمع رجل قبل كل شيء.

3- والاهتمام بثقافة الإعلام هو ظاهره حديثه نسبيا في مجتمعنا العربي المعاصر"[1].

وقد نتفق جميعا على أن أدب الطفولة في الوطن العربي قد ولد من رحم الثقافات الأجنبية المستقدمة، فلم ينتبه الكاتب العربي إلى هذا الجنس الأدبي كفن قائم بذاته، إلا في مرحلة زمنية متأخرة من العصر الحديث.

وعلى الرغم من الجهود المبذولة ضمن هذا النطاق، وتنوع أشكال الكتابة الموجهة لجمهور الأطفال في العصر الحديث، إلا أن أدب الطفل لايزال يواجه العديد من التحديات في ظل العولمة وقلة دور النشر.

4. خاتمة:

تناولت هذه الدراسة حشدا من المفاهيم والتصورات التي يتطلع أصحابها إلى وضع تصور دقيق ومفهوم ناجز لماهية أدب الطفولة، وإزالة اللبس الذي يعتري هذا النمط من الكتابة، كما ركزت الدراسة على الجانب التنظيري وجعلته هدفها الأول، لأننا بصدد تقصي المفاهيم النظرية لأدب الطفولة وما تنطوي عليه من تداخل وتجاور في الدلالة مع المفاهيم الملتصقة به.

ومن خلال ما سبق ذكره نصل إلى جملة من النتائج نوردها على النحو الآتي :

- مفاهيم أدب الطفولة تختلف في الصياغة، وتتجاور في الدلالة.
- ينهض أدب الطفولة مرتكزا على عطاءات علم النفس، وعلم الاجتماع وعلم التربية، وعلوم الدين.
- تمثل العلاقة المتشابكة بين أدب الطفل وثقافة الطفل ملمحا قارا في نمط الكتابة الموجهة للطفل.
- أن ما يجمع بين أدب الصغار وأدب الكبار على مستوى البنية الشكلية أكثر مما يفرق بينهما.
- أدب الطفولة شكل من أشكال التعبير الأدبي ينطبق عليه ما ينطبق على الأدب من المفاهيم والتصورات.
- يتوفر أدب الطفولة على بنيات فنية مكنته من رسم حدوده في الساحة الأدبية.
- أدب الطفولة عمل فني له أهداف تربوية وأخرى معرفية.
- أدب الطفولة عمل فني يجمع بين المتعة والمنفعة.
- يفترض أدب الطفولة قارئا من نوع خاص يمتلك مؤهلات قرائية محدودة.
- أدب الطفولة لا ينفتح على التأويلات المشكوك فيها، وأسلوبه تقريري مباشر في منأى عن تعمية المعنى والتشظي الدلالي المؤدي إلى انفصال الطفل عن العالم الفني.
- أدب الطفولة نمط تعبيري له قواعده ومناهجه التي تتوافق مع مختلف مراحل نمو الطفل.

[1] أحمد علي كنعان، فرح سليمان المطلق، اللغة العربية ، أدب الأطفال وثقافة الطفل، ص31.

- حقق أدب الطفولة نقلة نوعية في مجال الدرس الأخلاقي وأمكنه أن يتجاوز مختلف التعاليم القسرية الطلبية (لا تفعل، افعل) بل يأتي في حلة أنيقة جذابة ومشوقة تجعل من الطفل يتبنى الفكرة أو ينصرف عنها.
- يقوم أدب الطفولة بمختلف أشكاله وألوانه على أسس معرفية متنوعة من قبيل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية، وعلوم الدين.
- أدب الطفولة على صلة وطيدة بالمعطيات الثقافية والوسائط الناقلة لهذا النمط من الكتابة .
- إن ما يكتنف أدب الطفولة من غموض في الحدود والمفاهيم، ليس من السهل تجاهله، لاسيما أن هذا النمط من الكتابة قد ظهر في عالم مفكك ومهشم يفتقر إلى المعايير النقدية الجادة، فلا يزال أدب الطفولة في حاجة ماسة إلى المزيد من الجهود لتأصيله وتدعيمه وتحديد ماهيته عبر تقديم تصورات دقيقة، تكسبه فرادته وتمنحه نوعا من الخصوصية بوصفه جنسا أدبيا قائما بذاته.

5. قائمة المراجع:

1. أحمد المصلح، أدب الأطفال في الأردن دراسة تطبيقية، سلسلة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط2، 1979-1998.
2. أحمد زلط، أدب الطفل العربي دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 2، 1997.
3. أحمد نجيب، البعد القومي في ثقافة الطفل العربي، ثقافة الطفل العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إدارة الثقافة، المكتبة الوطنية الجزائرية، تونس، 1992.
4. إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2000.
5. أمينة حمزة الجندي، ثقافة الطفل في الوطن العربي، إستراتيجية للتعاون بين البلاد العربية في ثقافة الطفل، ثقافة الطفل العربي/ المنظمة العربية للتربية والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1992.
6. بشير خلف، الكتابة للطفل بين العلم والفن/ دراسة، وزارة الثقافة، الجزائر، دط 2007.
7. زهراء الحسيني، الطفل والأدب العربي الحديث، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1،2001.
8. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي، هاشمية سعيد حميد جعفر الحمداني، أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014.
9. العيد جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته، دار هومة، دط، دت.
10. محمد السيد حلاوة ، مدخل إلى أدب الأطفال مدخل نفسي واجتماعي، تقديم السعيد بيومي الورقى، سلسلة الرعاية والثقافية، مؤسسة حورس الدولية، دط،2001.
11. موفق رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط،2012.
12. هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1986.
13. يوسف نوفل، القصة وثقافة الطفل، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2014.